وعدم التعرض للعدوى وعدم الإضرار بالنفس التي هي أمانة بين أيدينا.

والناشئ «إذا كان ضعيف الجسم فإنه لا يستفيد من العملية التربوية في تنمية جوانبه الأخرى كما لو كان صحيح الجسم لديه الطاقة اللازمة»[(١)] لتحقيق مرامي الأهداف التربوية وأبعادها، فإذا كان ضعيف الجسم فلا يمكن استعمال عقله استعمالاً صحيحاً، وبالتالي فإن مستوى الاستجابة للعملية التربوية سيكون ضعيفاً.

وحتى تتحقق السلامة الجسدية للناشئة بيَّن القرآن الكريم وأرشد إلى تلك المقومات الضرورية لسلامة الجسد بما أوجبه من حق الرعاية والعناية بهذا الناشئ في جميع مراحل حياته، وذلك من خلال وسائل مهمة وضرورية دعا إلى تحقيقها، وهي:

- **المحافظة على الحياة:**

وهو أول حق قرره الإسلام للطفل، «وذلك لأن الإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة ولا تُسلب هذه الحياة إلا بإذن الله»[(٢)] لحرمتها عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وعدم قتل الأولاد أساس من الأسس والمقومات الكبرى للعقيدة التي بايع عليها رسول الله ﷺ المؤمنات[(٣)] كما أمره الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد الحمد ص١١٥.
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٤ بتصرف.
(٣) انظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٤٧ بتصرف.

«وأهل الجاهلية في الماضي والحاضر يظنون أن الأولاد سبب في الفقر والعوز مما جعل بعضهم يقبل على قتل أولاده خشية الفقر بطرق مباشرة أو غير مباشرة، ولقد شنّع القرآن العظيم على أمثال هؤلاء أعمالهم تلك وبدّد أفكارهم وأوهامهم حول ذلك بل بيَّن الإسلام لهم ومن خلال كتاب رب العزة جل وعلا أن الأولاد سبب لجلب الرزق وحصول الغنى»[(١)]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لأن الله تعالى تكفل برزق الجميع وقدره لكل فرد صغيراً كان أو كبيراً.

فإن كانت الخشية من الفقر في الحاضر أو المستقبل هي التي تؤدي إلى القتل، فإن الله تعالى قادرٌ على الرزق، وإن كان نوع الجنس الذي يرزق به الأب هو سبب الغم والحزن والكآبة التي تعلو وجهه، فيكفي أن يقال فيه ما قاله ربّه فيه، وذلك قوله تعالى عندما يبشر بالأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

أما الحساب فعسير يوم القيامة، يوم تسأل الموؤودة عن سبب وأدها: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير].

فالله ﷻ حضَّ على حياة الأولاد لأنّهم زينه الحياة الدنيا: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]. وبهم تحصل العزة والنصرة والبر والصلة والسرور، وإن قتلهم من أعظم كبائر الذنوب لأنه دليل على خلو القلب من الرحمة[(٢)]، فضلاً عما فيه من جحود النعم التي أنعمها الله على عبده وأمره بالمحافظة عليها.

---

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص٤٧.
(٢) انظر: تفسير السعدي ص٤٥٧.

• **تأمين الغذاء للناشئة:**

اهتم القرآن الكريم بتحقيق السلامة الجسدية للناشئة في بداية حياتهم وبعد ولادتهم وشرع لهم حق الرضاعة لأن عملية الرضاعة تعطي الطفل قوته وقوامه وتعمل على نموه الجسمي وتكفل له حسن الرعاية والاستقرار، لذا يلزم الأم الالتزام بإيصال هذا الحق للمولود وتأكيداً على هذا الحق الثابت للولد، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ [القصص: ٧].

ولبن الأم هو الغذاء الإلـٰهي الذي أعده الله تعالى وأجراه حقاً للطفل، وهو أنسب وأصح غذاء له لما يتميزه من مميزات منها: احتوائه على مقادير العناصر الغذائية المطلوب لنمو الطفل نمو صحياً، واحتوائه على أجسام ضدية تحمي الوليد من العديد من الأمراض مثل الحصبة ـ الدفتريا وغيرها، وأن حليب الأم كذلك معقم من كل أنواع الجراثيم والبكتريا ويصل إلى معدة الطفل في درجة حرارة مناسبة لعملية الهضم. بالإضافة إلى فوائد أخرى مثل ارتفاع مستوى الذكاء في الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية لفترات طويلة، وذلك مقارنة بالأطفال الذين يتغذون على الألبان الصناعية أو الذين يرضعون لبن الأم لفترات قصيرة، وما يحصل أيضاً من تقوية للرابطة العاطفية بين الأم والمولود ويكون أكثر سكوناً وطمأنينة، وشعوراً بالأمان، وأقل عصبية وخوفاً، وفيه تحقيق للراحة النفسية للأم.

• **النوم ضرورة أساسية:**

فالنوم مظهراً مهماً من مظاهر الحياة اليومية، وضرورة أساسية لا تستقيم حياة الناشئة بدونه، وهو من آيات الله وفضله على الناس، قال

تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم].

وهو من أحسن أنواع الراحة وأنفعها للجسد، ففيه تسكن الأعضاء وتهدأ النفوس كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام].

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل النوم سباتاً يدركهم فيقطعهم عن الإدراك والنشاط ويجعلهم في حالة تتكفل بإراحة أجسادهم وأعصابهم، وتعويضها عن الجهد الذي بذلته في حالة الصحو والإجهاد، «وإعادة بناء بعض الأنسجة التي تلفت أو استهلكت أثناء ساعات النشاط»[(١)]. وقد وصفه الله تعالى بالسبات: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبأ][(٢)].

وإذا كان من آيات الله تعالى النوم بالليل لأن له فوائد كثيرة والجسم يستفيد منه أكثر مما يستفيده من نوم النهار، فينبغي على الوالدين أن يدعوا الطفل إلى النوم المبكر، وأن يترك السهر إلا لضرورة قصوى، حتى يستطيع الاستيقاظ مبكراً، لأن في اليقظة باكراً لصلاة الفجر ثم الانتشار إلى العمل فائدة عظيمة، وقد أقسم الله تعالى (بالفجر) في كتابه العظيم قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ [الفجر].

- **اللعب والرياضة:**

لقد أقر الإسلام اللعب البريء واللهو المباح ما دام في مصلحة الإسلام وخدمة المسلمين، وهما من الأمور التي تتطلبها الفطرة البشرية كما جاء على لسان إخوة يوسف، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا

(١) النوم والأحلام في الطب والقرآن ص٣٥.
(٢) السُّبات: الراحة. المعجم الوسيط (س ب ت) ١/ ٤١٢.

لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧]. فاللعب في الآيتين السابقتين هو اللعب المباح (من الانبساط)، لا اللعب المحظور الذي يترتب عليه الآثار كالقمار، والمسابقات التي تجري مجراه وتجمع جوائزها من مساهمات اتصال المشاركين. فيبوء البعض بالغنيمة لعامل الحظّ ويخسر الباقون وهذا أصل القمار.

والرياضة: هي حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر والموافق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها، وفيها غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض الماديَّة والأمراض المزاجية»[(١)].

وللرياضة أهمية من وجوه عديدة:

١ ـ أنها تعوِّد البدن النشاط وتجعله قابلاً لتمثُّل للغذاء، وتجنبه تصلب المفاصل، وذلك لأن الحركة لها أهميتها للبدن والحفاظ على حياة الفرد، وتعتبر الحركة أحد عناصر الحياة للأطفال الأصحاء لأنه يزود الجسم بالخفة والحيوية والنشاط[(٢)].

٢ ـ أن تنمية القوى الجسمية وتنشيطها عند الأطفال تحتاج إلى لعب يكسبهم بعض المهارات الحركية مثل القفز، والجري، والتسلق، والتسابق وغيرها من النشاطات الحركية الجسمية التي يكتسب منها الأطفال قدرات حركية، كما أن اللعب مع الغذاء يساهم في نمو الأطفال وزيادة وزنهم زيادة طبيعية وزيادة حجمهم ويساعد على نمو أجهزتهم الجسمية المختلفة[(٣)].

---

(١) انظر: القانون في الطب، لابن سينا ١/ ٢٥٨.
(٢) انظر: الطب النبوي، لابن قيم الجوزية ص١٩٢.
(٣) الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ٢١٠.

٣ ـ إذا كان الطفل عليل الجسم واهن القوى فإن هذا كله يؤثر في مجاراته لرفاقه وزملائه في المدرسة؛ لأنه يشكو من مرضه فلا يلعب، وتكون حركته بطيئة، وقد يكون منعزلاً عن رفاقه، ففي الرياضة محافظة على لياقه جسمه، وتجعله أكثر مرحاً وابتهاجاً، مما له الأثر الكبير والإيجابي على شخصيته وتصرفاته وسلوكه[١].

وقد دعا الإسلام إلى رياضات بأعيانها هي الرماية وركوب الخيل والسباحة وسباق المشي دون إغلاق الباب أمام رياضات أخرى شريفة وتدخل في المباحات إن لم يصاحبها الإثم ككشف العورات والمشاجرات والإيذاء، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والنبي ﷺ عرَّف أن القوة الرمي، فعن أبي علي ثمامة بن شفي[٢] أنه سمع عقبة بن عامر[٣] يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[٤].

وركوب الخيل من أنواع الرياضة الجميلة والمفيدة، وفيها تربية للجسد وتقويته كما جاء في كتابه العزيز: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد مدحها رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «**البركة في نواصي الخيل**»[٦].

والسباق على الأقدام نوع من أنواع الرياضة حثَّ عليها الإسلام في

---

(١) انظر: تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة ٢/ ٥٤٥.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) سبق تخريج الحديث.
(٥) سبقت الترجمة له.
(٦) سبق تخريجه.

كتابه الكريم: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧].

• **اتباع الوقاية والتداوي:**

أرشد القرآن الكريم إلى اتباع سبل الوقاية والتداوي بما يحقق سلامة الناشئة من كل ما يسبب لها الضرر أو يكون عائقاً لنموها الجسمي.

ومن هذه الإرشادات الوقائية: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ابن كثير[(١)]: «قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية»[(٢)].

وهذه الآية اشتملت على نظام تربوي من وجهين، **أحدهما**: إباحة الطعام والشراب: إذ بتناولهما يتغذى جسم الإنسان ويكتمل نموه وتناولهما أمر ضروري لحياة الإنسان. **والوجه الثاني**: النهي عن الإسراف في الطعام والشراب[(٣)].

وهذه الآية الكريمة تشتمل على قاعدة صحية بتحقيق التوازن في المأكل والمشرب؛ لأن عدم التغذية أو الإسراف فيه مانع من الصحة جالب للمرض، فكلاهما سوء تغذية التي تضر بالناشئ، ولها آثارها عليه، فالغذاء لا بد أن يكون شاملاً للعناصر الضرورية من بروتينات ـ

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ، فقيه ومفسر، رحل في طلب العلم، ولد سنة (٧٠١هـ) كان قدوة للعلماء والحفاظ له تصانيف كثيرة فيها: «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن العظيم» و«الباعث الحثيث» وغيرها كثير، توفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). انظر: طبقات المفسرين ص٨٠، والأعلام ١/ ٣٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر: تفسير المنار ٨/ ٣٤٢.

وكربوهيدرات ودهون وفيتامينات وأملاح معدنية والماء، وكلها ضرورية من أجل استمرار الحياة والحصول على الطاقة اللازمة والوقاية من الأمراض، وذلك تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن الإرشادات الوقائية القرآنية:

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إن اللباس نعمة من نعم الله ﷻ على بني آدم امتن الله عليهم بها يستتر به الإنسان ويتزين به، وحافظاً لهم من كشف عوراتهم، فهو نعمة ووسيلة وقائية لحفظ البدن وسلامته»[(١)].

والله تعالى أمر باللباس لأن الفطرة السليمة تتطلبه، وهو حاجة وضرورة مهمة لحماية جسد الإنسان ووقايته حتى لا يتعرض للأمراض في أوقات مختلفة في البرد أو الحر، وقد بيَّن الله ﷻ هذه الأهمية وهذه النعمة بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥﴾ [النحل].

وأشار ﷻ إلى اللباس الذي يقي من الحر: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١].

وينبغي على الوالدين تعميق مفهوم أهمية اللباس في نفس الناشئة وتعويدهم على آداب لبس الثوب ونزعه، وتعويدهم على اللباس الساتر والبعد عن الملابس الشفافة التي لا تستر العورة والثياب القصيرة، لما في ذلك من قله الحياء وغيرها من الأمور التي يجب مراعاتها في لباس الناشئة التي لا بد من الأخذ بها في جميع المراحل العمرية وما تحتاجه على مستوى الجنسين الذكر والأنثى.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤١٣.

وتأكيداً لحماية الجسد من الجراثيم والأوساخ شرع الإسلام الوضوء والغسل كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

فالوضوء يزيل كل ما يلتصق بالجلد من أتربة وعرق سواء من غسل اليدين أو إزالة للميكروبات والفيروسات عن طريق غسل الفم والأنف بالمضمضة والاستنشاق، وغسل الوجه ثلاث مرات يجعله نظيفاً من الغبار والأقذار، وفي غسل الرجلين إلى الكعبين نظافة أيضاً لما قد يتعرضان له من ملامستهما للتراب والغبار والأذى والرائحة التي قد تعلق بهما ولا تزول إلا بالغسل والنظافة(١).

وقد رغب الإسلام في الوضوء وبيَّن الله ﷻ محبته سبحانه لمن يفعل ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والناشئ الصغير لا يمكن أن يعي هذه القضايا وهذه المعاني الكريمة في النظافة والطهارة، ومربيّه هو المسؤول عن رعايته ونظافته وتوجيهه إلى ذلك فيعوِّده على كثرة الاغتسال وحب التطهر والنظافة من غير إسراف أو وسوسة، وتعويده على نظافة ثوبه وملبسه، وقد حث عليها سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر].

فيكون في البيت وعند الأقارب وفي الأماكن العامة حسن المنظر، نظيف الثياب، ويعوَّد كذلك الاهتمام بنظافة أسنانه وتنظيفها قبل النوم وبعده.

ومما أرشدنا إليه ﷻ وجعله سبباً للتداوي من كثير من الأمراض

(١) انظر: إعداد الطبيب المسلم للرعاية الصحية الشاملة، حسني الرودي ص١٦٦ ـ ١٦٧، والطفل في ضوء القرآن والأدب ص١٦٣.

وجعل فيه شفاء للناس العسل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ﴾ [النحل].

والمتأمل لقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ﴾ يدرك أن العسل فيه شفاء لأكثر من مرض وله فائدة عظيمة ومهمة في جميع مراحل الناشئة:

وقد قيل في العسل وخواصه ومنافعه الشيء الكثير، وأفردت له المؤلفات، وهذا يجعلنا نقف عند ما ذكرناه عن العسل فنذكر بعده كذلك الرطب.

فللرطب أهمية كبيرة وفوائد عظيمة أشار القرآن الكريم إليها في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم].

وللرطب فوائده بالنسبة للمولود فمن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود استحباب تحنيكه عقب الولادة.

والحكمة في ذلك: «تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ حتى يتهيأ المولود للقم الثدي وامتصاص اللبن بشكل قوي وحاله طبيعية»[(١)].

ومن الأدلة على استحباب تحنيك المولود بعد ولادته ما ورد عن أسماء[(٢)] أنها حملت بعبد الله بن الزبير[(٣)] قالت: فخرجت وأنا متم

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٦٠، ٦١.

(٢) هي: أسماء بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، أم عبد الله القرشية، زوج الزبير بن العوام، وولده عبد الله بن الزبير وأخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاة. روت عدة أحاديث شهدت اليرموك مع زوجها الزبير عاشت مائة سنة، وماتت (٧٣)، وقيل: (٧٤هـ).
انظر: أسد الغابة ٧/ ٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٤.

(٣) سبقت الترجمة له.

فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق النبي ﷺ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام»(١).

ويضاف إلى الرطب زيت الزيتون الذي وصفه الله ﷻ في كتابه العزيز بالشجرة المباركة: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وقد حدد الله سبحانه هذه البركة بقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون]. كما أنه تعالى أقسم بثمرته فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين]. وفيه إعلاء لقدر هذه الثمرة.

وقد حث النبي ﷺ على تناول زيت الزيتون واستعماله كدهان كما قال ﷺ: «**كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه من شجرة مباركة**»(٢).

ولسهولة هضم زيت الزيتون ينصح الأطباء بإعطائه للأطفال مع الخبز في بداية عهدهم بالغذاء لبناء أجسامهم ووقايتهم من الإصابة بالكساح وتقوس الساقين لاحتوائه على فيتامين «د»، وهو مفيد في تطرية الجلد ولمعالجة القشور الناجمة عن الأكزما وغيرها من الفوائد التي لا حصر لها(٣).

❐ خامساً: دور الأسرة في التربية النفسية للناشئ:

تعتبر الأسرة العامل الأساسي في صنع سلوك الطفل منذ نشأته

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد، رقم الحديث (٥٤٦٩).
(٢) رواه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت، رقم الحديث (١٨٥١)، وقال الألباني: حديث صحيح في سنن الترمذي ص٤٢٦.
(٣) انظر: التداوي بالقرآن، عبد المنعم قنديل ص١٢٠، وروائع الطب الإسلامي ١/١٠٣ ـ ١٥٨.

الأولى وخلال مراحل نموه المختلفة التي تتولاها الأسرة بالعناية والرعاية وتأثيرها على توافقه النفسي أو سوء التوافق وكل ما يكتسبه الطفل من الأسرة من خبرات مؤلمة والناتجة عن اتباع أساليب خاطئة في التنشئة وتظل راسخة في حياته حتى يكبر وتؤدي به إلى اضطرابات نفسية وانفعالية في شخصيته مما يعرضه لبعض العلل والانحرافات النفسية حذر منها القرآن الكريم، **ومنها ما يلي**:

- **الخوف عند الناشئة:**

ينشأ الخوف عند الناشئة لأسباب تكونت لديه منذ صغره منها: «المشاجرات بين الوالدين، وقد أبرز القرآن الكريم العلاج المناسب والوقائي لهذا السبب عندما دعا ﷻ في كتابه الكريم إلى أن تكون العلاقة بين الوالدين على أساس المودة والرحمة والألفة»، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وأيضاً عندما نظم الإسلام الأسرة وما قد يثور بين الزوجين من الخلاف فلم يدع الأمر مطلقاً من غير اهتمام أو ضوابط، بل حثّ على العشرة بالمعروف ولطف المعاملة والإغضاء عن الهفوات، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وإذا اشتد النزاع واستمر الخلاف جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

وفي حاله استمرار الخلاف بين الزوجين واستعصى الوفاق على الحكمين عمد الإسلام إلى التفريق بين الزوجين على أسس تضمن لكلٍّ

حقوقه، وتضمن للأولاد أنسب مستوى من العيش الطيب بعد ما استحال عيشهم في كنف الأسرة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء]، وقوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق].

إن القسوة في التعامل مع الناشئة سبب من أسباب الخوف لديهم؛ لأن هذه القسوة تخلِّف في نفسه هزات عنيفة يكون لها أثر سيئ في سلوكه، وخُلقه.

ولا شك أن القسوة من الوالدين تجاه أبنائهم يولِّد بداخلهم تدريجياً هذا العنف وهذه القسوة، فينشأ الولد قاسي القلب منزوع الرحمة، ويصير ميالاً إلى الخضوع إلى السلطة والخنوع والطاعة في غير موضعها، غير قادر على المناقشة وإبداء الرأي، ويصير معتمداً على الآخرين وخاصة على الوالدين، فلا يستطيع الولد التصرف في أمر من الأمور دون أخذ رأي الوالدين، ومن آثارها أيضاً فقدان الثقة بالنفس والعجز والقصور عند مواجهة المواقف فينتج عن ذلك ظهور التردد، والانكماش والخجل وعدم القدرة على التفكير المستمر وغيرها من الآثار.

ولهذا فإن القرآن الكريم أرشد الوالدين والمربين إلى أن يستخدموا الملاطفة والمعاملة الرحيمة، بدافع الرحمة بهم، فقد اتصف نبي الرحمة ﷺ بالرحمة فتأثر به الناس وأقبلوا عليه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والعفو عن الناس من الخصال التي دعا إليها الشارع: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومن الرحمة بالأولاد القول الحسن اللطيف عند مخاطبتهم: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ومع أنه ﷻ قد حث في كتابه الكريم على الرحمة والرفق بالأطفال فإنه وجه إلى استخدام العقوبة في حالات وضمن قواعد وخطوات تبدأ من الأخف إلى الأشد، فتبدأ بالتوجيه إلى الخطأ والتنبيه عليه، فبالموعظة والنصيحة والتوجيه والقول الحسن، قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣].

ثم يأتي بعد ذلك اللوم والتأنيب والتوبيخ، وقد روي عن أبي ذر[(١)] قال: «كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيتُ النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»[(٢)].

ثم بعد ذلك تأتي المقاطعة والهجر، وهذا ما جرى مع النفر الذين تخلفوا عن الجهاد مع الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وآخر مرحلة من مراحل العقوبة يجيء «الضرب» فقد أقره الإسلام، وهو يأتي في المرحلة الأخيرة وفق شروط حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفي والانتقام، وقد أقر الله ﷻ الضرب وسيلةً أخيرة عندما لا تجدي بقية الوسائل، وقد ورد ذكر الضرب في العقوبة،

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) سبق تخريج الحديث.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

والتدليل المفرط سبب أيضاً من أسباب خوف الناشئة وضعف شخصيتها وهو نوع من المبالغة في التساهل مع الطفل بحيث يستجيب الوالدان أو أحدهما لمطالب الطفل مهما كانت هذه المطالب، ويغضان الطرف عن كل ما يرتكب من أفعال تقتضي التأديب والعقاب.

ولهذا النوع من المعاملة والتربية آثاره على الناشئة حيث ينتج عنه عدم القدرة على تحمل المسؤولية.

وسبب ذلك اعتياد الطفل على أن يأخذ دون أن يعطي، وعلى عدم التحرر من الوالدين. ومن آثاره الخجل وفقدان الرجولة والشجاعة والتدرج نحو الميوعة.

وعلاج هذه الظاهرة في ضوء القرآن الكريم: هو الاعتدال والتوسط في معاملة الأبناء.

فكم من الأبناء يضيع بين تقتير الآباء أو إسرافهم، ويكون ذلك إما بحرمان الولد من ضروريات الحياة ضنّاً بالمال ورغبة في جمعه، فيبتعد الابن عن فضيلة التوسط، ويصبح نهماً جشعاً لانتهاب الأموال والسرقة، وتضيع ثروة والده، أو يكون شحيحاً كما ألف من والده.

وتلبية رغبات الأبناء ليس مقصداً شرعياً، وإنما التوازن والتوسط[1] هو المقصد الشرعي استجابة لأمره تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

ومن وسائل العلاج أن يحرص الوالدان على عدم تضارب آرائهما

(١) تربية الأطفال في رحاب الإسلام ص٢٧٤.

فيما يخص الأولاد، فلا يأمر الوالد بأمر وتأمر الأم بخلافه، فذلك يشتت الأولاد ويحيرهم فلا يعرف الصواب من الخطأ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

ومن التعارض بين الوالدين في معاملة أبنائهم أن يظهر الأب بمظهر القسوة والأم بمظهر الرأفة، فهذا من شأنه أن يولد نفور الابن من والده وارتمائه في حضن أمه، ويؤدي هذا المسلك للاستهانة بالأوامر التي توجه إليه، فلا بد من إشعار الصبي بمحبة والده وشفقته عليه ومحبته له، ومحبة والدته لأدبه وتحليه بالفضائل وترك الرذائل.

ومن واجبات الأسرة كذلك تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الناشئة حتى يعلموا أنه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد].

• **الغيرة عند الناشئة:**

الغيرة ليست سلوكاً ظاهرياً، وإنما هي حالة انفعالية يشعر بها الفرد ولها مظاهر خارجية يمكن الاستدلال منها أحياناً على الشعور الداخلي، وتظهر الغيرة في حياة الأطفال في السنوات الخمس الأولى عن طريق المصادفة أو عن طريق التحفيز غير المقصود من الكبار[1].

وقد صوَّر القرآن الكريم انفعال الغيرة تصويراً رائعاً في قصة يوسف عليه السلام وشدة غيرة إخوته منه إلى الحد الذي جعلهم يريدون قتله،

(١) انظر: أسس الصحة النفسية ص٤٠١ ـ ٤٠٤.

وذلك عندما تناجوا بينهم قائلين: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

فمن أسباب الغيرة المقارنة بين الإخوة وتفضيل الأم أو الأب لأحدهم دون الآخر ومن الأسباب أيضاً القسوة والشدة في العقاب الذي يتبعه بعض الآباء في التفرقة بين الأبناء أو كثرة المديح والإطراء، وكذلك التعلق الشديد من قبل الطفل بوالديه وغيرها من الأسباب السابقة الذكر.

ولعلاج أسباب الغيرة في ضوء القرآن الكريم ينبغي المساواة بينهم، وحسن المعاملة حتى لا ينشأ الطفل وقد توغّر صدره على أشقائه وأقرانه بدافع الغيرة بما لا تحمد عقباه، نظراً لعدم المعاملة الرحيمة أو العادلة كما أخبر ﷻ عن غيرة إخوة يوسف في كتابه كما مر من قريب.

فالعدل مطلوب في كل الأمور حتى في معاملة الوالد لأولاده في المحبة والإيثار وغيره؛ لأن الله ﷻ أمر بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وبيَّن ﷻ أن القيام بالعدل واتخاذه منهجاً وسلوكاً لتربية الأبناء أقرب للتقوى: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وقد تكون المفاضلة على أساس نوع الجنس بمعنى أن يفرق في المعاملة بين البنت والولد ويفضل الذكور على الإناث، فالرسول ﷺ حث على إكرام البنت والإحسان إليها، ومن ذلك إعطاؤها حقها من الحب والحنان، وبين الأجر الكبير لمن يفعل ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»[(١)].

فالعدل بين الأبناء كفيل بسلامة الأبناء من الغيرة وآفات القلوب من

(١) سبق تخريج الحديث.

حقد وحسد والشعور بالنقص تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»(١).

والتدليل الزائد والتسلط من قبل الوالدين، وكذلك المشاجرات وكثرة النزاعات بينهما جميعها أسباب حتمية مؤدية لغيرة الطفل وآثارها واحدة على شخصية ونفسية الناشئ، وذلك من خلال فقد الناشئ الأمن وفقدان ثقة الطفل بنفسه غير قادر على الاعتماد على نفسه أو مواجهة الحياة ميالاً للخنوع لا يستطيع اتخاذ القرارات لوحده بل لا بد من الاستعانة بوالديه، فينبغي على الوالدين التربية التي تتخللها القسوة المغلفة بالرحمة والغلظة الممزوجة بالحنان.

إن التدليل المفرط وتلبية جميع متطلبات الطفل دون أي رفض أو اعتراض يولد عند الطفل الشعور بالأنانية والتطلع دائماً إلى الاستحواذ على ما عند الآخرين، وعندما لا يستطيع الوصول إلى ما عند الآخرين تظهر لديه الغيرة ووسائل التعبير عنها من التجسس والوشاية والسخرية، وعند ملاحظة ذلك على الناشئ ينبغي إرشاده إلى تجنب ذلك بحجة أن القرآن الكريم قد نهى عن هذه الأمور، قال تعالى في كتابه الكريم ناهياً عن السخرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

ويذكر أيضاً بقوله تعالى في النهي عن التجسس والغيبة: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) سبق تخريج الحديث.

ولا بد أن يتجنب الوالدان السخرية من أبنائهم عندما يخطئون، ووصفهم بأوصاف جارحة، وألا يتعمدوا سبهم وشتمهم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»(١).

وعندما يرى الوالدان خطأ ابنهم فعليهما أن يسارعا في توجيهه ونصحه أو تصحيح خطأه، وإعطاء الطفل فرصة للتصحيح إذا أخطأ حتى ينهضوا للأمثل، ويتجنبا نصحه وعتابه أمام العامة والآخرين لئلا يسبب ذلك انكساراً للابن وانهزاماً له.

والطفل لن يتعرض إلى الشعور بالغيرة طالما كان محل عناية الآباء واهتمامهم، وطالما ظل واثقاً أنه غير منبوذ.

«ولعل الاختلاف في مستوى المعيشة بين الأسر له أثر في نشوء الغيرة، فلكل أسرة مستوى اقتصادي محدد، وقد قدر الله لها ذلك المستوى أو ذاك، وربما تميزت أسرة داخل نفس العائلة على أسرة منخفضة المستوى الاقتصادي أو شديدة البخل على أبنائها مما يجعل هؤلاء الأبناء ينظرون إلى أبناء الأسرة الأخرى المتميزة وممتلكاتهم وألعابهم بعين كلها تمنٍّ في الحصول مثلهم على هذه الألعاب والمميزات، ومن هنا تتفتح بذور الغيرة على عوامل تكافؤ الأسر في الإغداق على الأطفال»(٢).

ومن واجبات الوالدين تأمين حاجات أبنائهم ومتطلباتهم على حسب مقدرتهم وعدم التقتير والبخل على أبنائهم، فالتربية تكون وسطية

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٧)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني في سنن الترمذي ص٤٤٩: حديث صحيح.

(٢) المشكلات النفسية عند الأطفال ص٣٣، ٣٤.

فلا بذخ فيتعودوا على الإسراف والتبذير، ولا شح فتمنع عنهم العطاء فيشعروا بالتقتير عليهم فيدفعهم ذلك إلى السرقة والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

ثم إن تربية الأبناء وتنشئتهم على القناعة والرضا من الأساليب الهامة التي تعالج الاضطرابات النفسية الناجمة عن الغيرة وكراهية الآخر، وأن يؤمن بأن الله ﷻ قسم الأرزاق وجعلها متفاوتة بين الناس لحكمة أرادها سبحانه، ومنها الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

❐ ومن العلل والانحرافات التي تظهر على الناشئة:

ظاهرة الحسد:

إن وجود هذه الظاهرة وتفشِّيها بين الصغار يستلزم الاهتمام الكلي من الآباء والمربين لاستئصالها من تلك النفوس الغضة حتى لا تتراكم على إثرها ظواهر اجتماعية وسلبية أخرى.

ويتم ذلك بتوفير عناصر معينة لعل أهمها:

١ ـ حب الآباء لأبنائهم.

٢ ـ تحقيق مبدأ العدالة.

٣ ـ تربية الناشئة على التخفيف من الشعور بالأنانية المفرطة.

٤ ـ غرس الاعتقاد بأن الله قد فاوت بين الناس في الرزق.

٥ ـ تعويد الناشئة على حب الخير للآخرين.

وقد تناولت هذه الأمور بإسهاب فيما تقدم من هذا البحث[1]،

(١) انظر: ١٣٦ من هذا البحث.

وربما يضاف إلى ذلك هنا أن نُشعِر الأبناء أن ما حصل من نعمة ونجاح للآخرين يمكن أن يحصل مثله لنا بإذن الله لو أننا عملنا بجدّ واستثمرنا أوقاتنا.

□ جوانب نفسية أخرى للناشئة اهتم بها القرآن الكريم:

١ ـ اختيار الاسم الحسن.

٢ ـ تقديم الرحمة والحب للناشئ.

٣ ـ الرحمة باليتيم والعطف عليه.

٤ ـ إيلاء البنات رعاية خاصة.

وقد سبق أن عرضنا في هذا البحث إلى هذه الجوانب تفصيلاً[(١)].

• **النظرة الشمولية في التربية القرآنية:**

مما تقدم رأينا أن القرآن الكريم قد أوجد أدوية محدّدة لمواجهة الانحرافات النفسية لدى الناشئة وتربية الناشئة على الخير. **ومن هذه العقاقير الناجعة:**

١ ـ **الحب والرحمة:** فهي أساس التربية ـ كما بيَّن لنا في مواجهة كثير من الانحرافات كالغيرة والحسد.

٢ ـ **العدل:** وهو عقار نفسي ناجح في نفي الإحساس بالظلم لدى الناشئ، ومنع ما ينتج عنه من انحرافات.

٣ ـ **تأمين حاجات الطفل.**

فالحاجة مزلق خطير وسبب لكثير من الأمراض النفسية لعل أهمها بروز الحسد والغيرة لدى الناشئ، ولكن بيَّن لنا أن تقدير حاجة الطفل ينبغي أن تكون بميزان دقيق، فلا هي مسرفة تؤدي إلى التبذير ونشوء

(١) انظر: ٦١ من هذا البحث.

الطفل على مرض استحواذ لما لدى الآخرين، ولا هي مقترة تبقي على جرح نفسي لدى الناشئ.

والإسلام قد وضع الحلول لهذه الظاهرة، فحله العام كان بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع المسلم وفرض الزكاة والدعوة إلى الصدقات، والأمر بأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه.

وحله الخاص بغرس القرآن لعقيدة الإيمان بالقدر والحظوظ التي قسمها الله للناس في الرزق، فترضى بذلك نفس المؤمن وتستقر، مع أن الإسلام قد دعا ـ من جهة أخرى ـ إلى العمل وحث عليه.

الفصل الثاني

عناصر العناية بالناشئة ومجالاتها وأساليبها في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثمان مباحث:

المبحث الأول: عناصر وأساليب قرآنية شاملة عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان.

المبحث الثاني: عناصر تأهيل المربي وأساليبه وبيان خصائصه وصفاته في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: كمال الإحاطة الربانية للأنبياء في طفولتهم وفوائده العظيمة للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الرابع: منهج الأنبياء في تنشئة ذرياتهم وما فيه من فوائد جليلة للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الخامس: عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين والإخوة.

المبحث السادس: عناصر وأساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم واختيار القرناء.

المبحث السابع: عناصر وآداب وأساليب قرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق.

المبحث الثامن: عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة وأساليبه في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول عناصر وأساليب قرآنية شاملة عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان

❐ أولاً: العناصر القرآنية:

إن سورة لقمان تعد نموذج من النماذج التي ترتقي بالتربية إلى قمة عالية خالدة، فهي ترسم الطريق الواضح في إصلاح النفس والمحافظة على الفطرة السليمة، وقد تجلى هذا النموذج في مواضع قيمة عرضها لقمان[١] على ابنه.

ولقمان رجل آتاه الله الحكمة وهي الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول[٢]، فهو يعد نموذجاً ورمزاً من رموز الفضيلة والحكمة التي تسعى البشرية إليها. وقد خصَّه ربُّ العزة في حديثه مع ابنه بآيات بينات فيها من قواعد التربية وأسس البناء الإنساني فرداً وجماعة ما ليس في حديث غيره[٣]، تم ذلك في لقاء أبوي مليء بالحنان والعطف مشتملاً على كافة الجوانب التي تحقق الخير لابنه في الدنيا والآخرة من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وسلوك، مما يشعر بأهمية مجالسة الابن ومناصحته

(١) اسم لقمان اسم أعجمي مشتق من اللقم، واختلفت الروايات في حقيقته، فمن قائل أنه كان نبياً، وقيل: إنه كان عبداً صالحاً من غير نبوة، والأكثرون على هذا القول الثاني، وقيل: إنه كان عبداً حبشياً، وقيل: إنه كان نوبياً، كما قيل: إنه كان في بني إسرائيل قاضياً من قضاتهم. انظر: روح المعاني ١٢/ ١٢٥، والطبري ١٨/ ٥٤٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٦، والظلال ٥/ ٢٧٨٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٦، وفتح القدير ٤/ ٢٩٧.

(٣) انظر: آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم، فاروق حمادة ص١٦٣.

حتى تستقيم حياته، وإعداده ليكون عضواً صالحاً ونافعاً في جميع علاقاته وتعاملاته.

وقد صاغ القرآن الكريم هذه الجوانب في خمس مواعظ، اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

وقد اشتملت هذه المواعظ على العديد من العناصر هي كالتالي:

الموعظة الأولى: توحيد الله تعالى ونبذ الشرك:

لقد بدأ لقمان هذه الموعظة بتذكير ابنه بالخير بما يرق له قلبه[(١)] عن طريق وعظه وتربيته، وهذه من المهمات الأساسية التي ينبغي على الآباء القيام بها، وقد جاء هذا الوعظ بخطاب هو أحب ما يخاطب به الابن لما فيه من إظهار الترحُّم والتحنُّن والشفقة بقوله: (يا بني)[(٢)]،

(١) روح المعاني ١٢/١٢٨.

(٢) وأصله (يا بُنَيْيي) بثلاث ياءات، إذ أصله الأصيل (يا بُنَيْوي) لأن كلمة (ابن) واوية اللام، الملتزمة حذفها، فلما صُغّر رُدّ إلى أصله، ثم التقت ياء التصغير الساكنة قبل واو الكلمة المتحركة بحركة الإعراب فقلبت الواو ياءً لتقاربهما وأدغمتا، ولما نودي وهو مضاف إلى ياء المتكلم حُذفت ياء المتكلم لجواز حذفها في النداء، وكراهية تكرار الأمثال. =

والتصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير، وهذا أدعى لقَبول النصح[١]، وإنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون لولده إلا ناصحاً، فقد بدأ لقمان برأس الأمر وهو العقيدة وسلامتها من الشرك وتوحيد الله وهو أول واجبات المخلوق تجاه الخالق، وقد علل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم، وقد أكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بتقديم النهي، وفصَّل علته، ومرة بإن واللام[٢] لأنه ظلم لحقوق الخالق التي أمر بتأديتها، قال رسول الله ﷺ: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[٣].

والشرك ظلم عظيم «لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه، والتسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه، وبين من لا نعمة له»[٤].

ويلاحظ أن لقمان قد ركّز في أوائل مواعظه على التأسيس المتين القائم على العقيدة الراسخة الصحيحة.

الموعظة الثانية: بر الوالدين والإحسان إليهما:

وتستمر موعظة الأب لابنه في أسلوب رقيق مصوراً هذه العلاقة بصورة فيها عطف ورقة يعرض من خلالها العلاقة بين الوالدين والأولاد[٥]، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ

= انظر: تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٩، ولسان العرب ٢/ ١٥٨، ١٥٩.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ٦/ ١٣، والتحرير والتنوير ١٠/ ١٥٥.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس، حديث رقم (٢٨٥٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم (٣٠).

(٤) روح المعاني ١٢/ ١٢٨، وتفسير المراغي ٢١/ ٨١ بتصرف.

(٥) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان]، ونلاحظ أن توصية الولد بالوالدين يتكرر في القرآن الكريم، فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال في موضع آخر: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأيضاً من وصايا رسول الله ﷺ كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[(١)] قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟، قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[(٢)].

ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً وذلك؛ «لأن الحب الفطري في الوالدين تجاه أبنائهم يدفعهم إلى رعاية الجيل الناشئ، لضمان امتداد الحياة كما يريدها الله؛ لأن الوالدين يبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما من كل ما يملكان من عزيز وغال في غير تأفف ولا شكوى، وإنما في نشاط وفرح وسرور، فالحب الفطري كفيل بتوصية الوالدين دون وصاة!.

أما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحِّي بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة، وما يملك الوليد أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه ولو وقف عمره عليهما، وهذه الصورة الموحية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، ترسم ظلال هذا البذل النبيل، والأم

---

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمٰن الهذلي، حليف بني زهرة وأول من جهر بالقرآن بمكة المكرمة، هاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد بدراً وأُحد وما بعدها توفي سنة (٣٢هـ).
انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٨١، وتهذيب التهذيب ٣/ ٦٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم (٥٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، حديث رقم (٨٥).

بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر من العطف والرفق لأنه قد يقع التفريط في الوفاء بالواجب للأم من الابن اعتماداً على ما يلاقيه من اللين منها بخلاف الأب، فإنه قوي ولأبنائه توقٍّ من شدته عليهم»[(١)].

فهذه نعم عظيمة تفضَّل الله بها على هذه الابن تعني الاعتراف بفضل صاحبها ومنعمها الأول وشكره وهو سبحانه جل في علاه، وأول مراحل الشكر الاعتراف باللسان بفضل الله بعبارات الشكر والحمد (الحمد لله)، وهي أول عبارة نطق بها آدم عليه السلام بعد أن نفخت فيه الروح[(٢)]، وهنالك شكر الجوارح وهو تسخير الجارحة في طاعة الخالق لا في معصيته: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ومن شكر النعمة التحدث بها[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [الضحى]، وفي النهاية يصبح الشكر هو العبادة الحقة، ثم شكر الوالدين المنعمين التاليين، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وشكرهما «باجتناب الإساءة إليهما من كل وجه بالقول والفعل»[(٤)(٥)]، ولو بأدنى كلمة أو فعل، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، غير أن طاعة الوالدين إذا تعارضت مع إيمان الولد بربه وتوحيده لخالقه تنتقض في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨ بتصرف، والتحرير والتنوير ١٠/ ١٥٨.
(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، رقم الحديث ٢/ ٢٨٧.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٦٨، ولسان العرب ٨/ ١١٥.
(٤) تفسير السعدي ص٦٤٨.
(٥) لمعرفة المزيد من جوانب بر الوالدين الرجوع إلى ص٢٥٦ من هذا البحث.

لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[1]، فقد كان رجلاً باراً بأمه فأسلم، فطلبت منه أمه أن يدع دينه وإلا لن تأكل ولن تشرب حتى تموت فيعيّر بها، فيقال له: يا قاتل أمه، وقد بقيت يوماً ويوماً وهي على تلك الحالة، فقال لها: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت[2]، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، «هنا يسقط واجب الطاعة، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة، فمهما بذل الوالدان من جهد ليغريا وليدهما بأن يشرك بالله ما لا علم له بألوهيته، وكل ما عدا الله لا ألوهية له، فالولد مأمور من الله سبحانه بعدم طاعة الوالدين في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد نعى الله سبحانه وتعالى وأنكر على من يتبع والديه في دينهما وإن كانا مشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان].

ولكن الاختلاف في العقيدة لا يسقط حق الوالدين في المعاملة

---

(١) هو: سعد ابن أبي وقاص واسم أبيه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد الستة أهل الشورى. روى الكثير من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي بالعقيق سنة (٥١هـ) وقيل غير ذلك.
انظر: الإصابة ١/ ٧١٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٢، وأسباب النزول للواحدي ص٢٣٠، وأخرجها مسلم بلفظ آخر في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم الحديث (١٧٤٨).

الطيبة والصحبة الكريمة[١]: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥][٢]، فالإحسان إلى الوالدين في أمور الدنيا يبقى ويظل مستمراً، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله قدمت أمي وهي راغبة[٣]، أفأصل أمي؟ قال: **نعم، صلي أمك**»[٤].

الموعظة الثالثة: الإيمان بسعة علم الله وإحاطته بكل شيء:

ويتم لقمان حديثه عن عظمة الله الذي لا تخفى عليه خافيه فيقول: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].

وأن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه»[٥] كما قال الرسول ﷺ: «**لو أن أحدكم يعمل في**

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٩.

(٢) قد اختلف المفسرون في الآيتين (١٤) و(١٥) هل من كلام لقمان أم من الله ﷻ، فذكر الألوسي رحمه الله بأنه كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما في النهي عن الإشراك، فهو من كلام الله ﷻ ولم يقله سبحانه للقمان، وقال: أبو حيان: «لما بيّن لقمان لابنه أن الشرك ظلم، ونهاه عنه كان ذلك حثاً على طاعة الله تعالى، ثم بيّن أن الطاعة أيضاً تكون للأبوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه، أخبر الله تعالى عنه بذلك، وإلى ذلك ذهب الطبري في تفسيره. انظر: روح المعاني ١٢/ ١٢٩، وتفسير الطبري ١٨/ ٥٥٤، والبحر المحيط لأبي حيان.

(٣) راغبة: أي: طائعة. انظر: لسان العرب ١/ ٤٢٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد. . حديث رقم (١٠٠٣).

(٥) والمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن الله ﷻ في قوله: (إن تك) أسقط النون في موضع وأثبته في موضع آخر، وذلك لحكمة عظيمة، ففي الموضع الأول أسقط النون لغرض الإيجاز في الإيصاء، بما ينيل المفاز، وفي الموضع الآخر (فتكن) إشارة إلى إثباتها في مكانها وليزدد تشوق النفس إلى محط الفائدة ويذهب الوهم كل مذهب لمَّا =

صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان»[(١)].

إن إحاطة علم الله بكل ما في الكون دقيقه وعظيمه في صفاته ﷻ، وهذه الإحاطة تقتضي علماً واسعاً لا حدود له، وهذا ما يفيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ . . .﴾ [لقمان: ٢٧].

«وفي هذه الموعظة الجليلة أراد لقمان أن يرسم في خيال ولده معنى الخوف من الله لأنه محيط بكل شيء، فعلى كل مربٍّ وعلى كل أب وأم أن يغرس هذا المعنى في نفس الناشئ في حالة ما بين ترغيب وترهيب لينمي في الناشئ الرغبة والحب لله من جهة والخشية والخوف من جهة أخرى، فيعيش الناشئ بين الخوف والرجاء عن طريق عرض الآيات والأحاديث التي تؤكد ذلك وتصف الجنة والنار ففيها العبرة كلها والموعظة التي تنمي في النفس الخشية من الله ﷻ»[(٢)] والرغبة فيما عنده.

الموعظة الرابعة: الحض على الأعمال الصالحة:

ثم انتقل لقمان الحكيم إلى تعليم ابنه قواعد الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

١ ـ الصلاة:

وهي أجل الأعمال الصالحة، وهي: «رأس ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدقه»، «ومن أهم وسائل ترسيخ الإيمان بالله

= عُلِم من أن المقصد عظيم بحذف تلك النون وإثبات هذه» نظم الدر ١٨/٦.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٢٤٨)، وضعفه شعيب الأرناؤوط.

(٢) نظم الدرر ١٩/٦، ومسؤولية الأب المسلم ص١١٢ ـ ١١٣ بتصرف.

ومراقبته واستحضار وجوده، وهي الوسيلة الصحيحة لتزكية النفس وتهذيبها وتعويدها على طيب الأخلاق وأنفعها»[(١)].

وإقامة الصلاة من صفات المحسنين الذين ورد ذكرهم في أول السورة قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان]. والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام التي يقوم عليها بناؤه وهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به.

وفي الحديث الذي رواه معاذ بن جبل[(٢)] رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وسنامه؟**»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...**»»[(٣)].

«فأول ما يتوجب على الآباء أن يعلموه أولادهم بعد الإيمان بالله شرائع الإسلام وأولها الصلاة، وأن يتفقدوهم فيها حالاً بعد حال بما تستوجبه من طهارة واستعداد»[(٤)]، ومن إتقان الوضوء بتطبيق عملي أمامهم، فإذا أخطاؤا وجَّهوهم دون تعنيف أو قسوة، وإذا أصابوا وأحسنوا الوضوء جرى إشعارهم بالرضا عنهم. وينبغي أن يعلّم الولد أن للوضوء طهارة للبدن وطهارة للنفس، وأن هناك جانباً معنوياً في الوضوء ذكره الرسول ﷺ: «**إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره**

---

(١) مسؤولية الأب المسلم ص١١٨.

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ أبو عبد الرحمٰن الأنصاري الخزرجي أسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة وشهد بدراً والمشاهد له ١٥٧ حديثاً، وكان ممن جمع القرآن قال النبي ﷺ: «**بأن معاذ يوم القيامة إمام العلماء**» توفي في طاعون عمواس سنة (١٨هـ)، وعمره (٣٣) سنة، وقيل غير ذلك.
انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٣٧٩، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم الحديث (٢٦١٦)، وصححه الألباني في سنن الترمذي ص٥٩٠.

(٤) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص١٧٣.

ويديه ورجليه، فإن قعد قعد مغفوراً له»[١]، وأن الله تعالى يحب التوابين والمتطهرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والتدريب على أداء الصلاة قبل سن السابعة وأمره على إقامتها في سن السابعة لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقد كان الرسول ﷺ يحث الآباء على تعويد أولادهم الصلاة ويطلب منهم أن يرقوا بأولادهم فيها درجة إثر درجة، فقد جاء في الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٢]. «وإذا بدأ الولد بعد السابعة الصلاة بانتظام وجب على الوالدين متابعته وتذكيره بها من وقت لآخر، فلا يغفلا عنه بل يكررا عليه الأمر مراراً دون ملل من ذلك، فإذا انشغل أحد الوالدين وكَّل الآخر ليقوم بالتذكير والمتابعة لئلا يتجرأ الولد على تركها بعد أن بدأ في أدائها، فيسوقه ذلك إلى التهاون بها بعد العاشرة»[٣].

وللصلاة فوائد وآثار على الناشئة هي:

١ ـ تنهى عن الفحشاء والمنكر:

قال تعالى عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

«فالأب الذي يثبت في أبنائه حب الصلاة بحق يجعل بينهم وبين الشر حاجزاً، ويمدهم بسلاح ماض لمقاومة الفتن والانحراف»[٤]،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، باب حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (٢٢٢٢٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) مسؤولية الأب المسلم ص١٢٣ بتصرف.

(٤) ملامح تربوية في القرآن الكريم ص١٧٣ ـ ١٧٤ بتصرف.

فالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي التي تصدر من قلب خاشع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢ ـ تحقيق الطمأنينة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج].

فالآيات الكريمة تكشف عن أثر الصلاة الإيجابي بما تمنحه من طمأنينة تتوازن بها الشخصية، فالصلاة ضرورة نفسية للأفراد تجنِّبها العديد من عوارض القلق والاكتئاب وغيرها من الآلام النفسية.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا جاء وقت الصلاة يقول: «**يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها**»(١).

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن الأعمال الصالحة أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على أذى الآخرين:

إن أمر لقمان لابنه بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبة، إن هذا التخصيص بهذه الطاعات «لأنها أمهات العبادات وعماد الخير كله»(٢).

وأيضاً لأنه: «لما أمر تكميله نفسه توفية لحق الخلق عطف على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق»(٣).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث (٤٩٨٥) وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٤٤٧.

(٢) تفسير فتح القدير ٤/ ٢٩٩.

(٣) نظم الدرر ٦/ ١٩.

ومن شروط المربي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

١ ـ «أن يكون عالماً بحقيقة ما يأمر به وأنه معروف في الشرع وأنه قد ترك بالفعل كما يكون عالماً بحقيقة المنكر الذي ينهى عنه ويريد تغييره، وأن يكون قد ارتُكِب حقيقة وأنه مما يُنكره الشرع من المعاصي والمحرمات»[(١)].

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء].

٢ ـ أن يكون عاملاً بما يأمر منتهياً عما ينهى عنه في ذاته ونفسه.

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف]، وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

٣ ـ التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة في دعوته لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]. ويتطلب هذا الأمر الرفق في الأمر والنهي ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

٤ ـ لا بد «أن يعلم الولد ما إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوف يؤدي إلى منكر أعظم من المنكر القائم أو لا؟ فإن كان هناك منكر أعظم سيحدث فحينئذ لا بد من أن يؤجل الأمر والنهي إلى

(١) منهاج المسلم ص٥١.

وقت تتحقق فيه المصلحة مع انعدام الضرر»[١].

٥ ـ من واجب الوالدين تعليم الناشئة وسائل الدعوة، فمن حق الناشئ أن يتعلم من القائمين على التربية وسائل الدعوة إلى الله ويُعلّم أن الدعوة إلى الله لا تقتصر على الخطب والمواعظ فقط، هناك وسائل أخرى للدعوة مثل المحاضرات الدينية والمقالات وشرائط الكاسيت، وبرامج الحاسوب ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ولا بد أن يرى والده منفذاً لذلك أمامه عملياً، ولذا ينبغي أن يكون الوالد مستعداً للدعوة في كل ميدان وبكل الطرق.

٦ ـ يحسن بالناشئ أن يتعلم طرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بأن يغير المنكر بيده، وإلا فبلسانه، وإلا فبقلبه، وهو أضعف الإيمان. قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٢].

٣ ـ الصبر:

ومن الأعمال الصالحة التي ذكرها لقمان إلى جانب الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخلاق الداعية الصبر ـ كما جاء في وصية لقمان لابنه ـ وقد قرن الصبر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، «لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجرَّان للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض»[٣]، فهو عندما يقوم بهذا الواجب سيلاقي مشقة وعناء وصعاباً وإعراضاً، فلا بد له من الصبر وتحمل ما يؤلمه ويحزنه من أذى اللسان واليد، ومن الابتلاء ما كان في المال أو في النفس. والصلاة كذلك تحتاج لصبر لأنها تشق على كثير من النفوس

---

(١) فقه تربية الأبناء، مصطفى العدوي ص٢٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٤٩).

(٣) التحرير والتنوير ١/ ١٦٥.

ولهذا وصفها الحق تعالى[١] بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. «وإن هذا الصبر من لوازم الأمور الواجبة على المرء المسلم والأمة المسلمة صبراً لا يقعده عن العمل والجهاد بل هو صبر يمدّه بالعزيمة والقوة»[٢] ويمنع من التردد والانكفاء إلى الوراء.

الموعظة الخامسة: عدم التكبّر على الناس:

انتقل لقمان في تربية ابنه إلى الآداب العامة التي تكون بينه وبين الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

والصِّعر: داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها[٣]، «والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر حركة الكبر والازورار وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار»[٤].

وقد يكون التكبر بمظاهر شتى وأعمال متعددة، منها السب والشتم والتحقير باللسان، ويدخل في هذا المعنى حديث الرسول ﷺ المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه[٥]: «**ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا،**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠، وملامح تربوية في القرآن الكريم ص١٧٤.

(٢) دراسات قرآنية ص٢٠٣ بتصرف.

(٣) وقد اختلفت القراءة في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين، «ولا تُصَعِّر» على مثال: «تفعِّل» وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة (ولا تُصاعِرْ) على مثال: (تفاعل) والصواب من القول إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب. انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٦٤.

(٤) انظر: الطبري ١٨/ ٥٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٦٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٢، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠.

(٥) سبقت الترجمة له.

وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[١].

ومن كنايات التكبر الواردة في آية لقمان: المشي في الأرض مرحاً، وهو المشي في تخايل وتكبُّر وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق. وهو تعبير عن شعور مريض بالذات وهو معجب في نفسه فخوراً على غيره[٢].

وقد كان النبي ﷺ يؤدب أصحابه بهذه الآداب القرآنية فدعا إلى التواضع والتخلق به في غير مذلة ولا مهانة فقال: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[٣]، «. . . ، وبيَّن الرسول الكريم النهاية الحتمية لمن يمشي مختالاً في قوله ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجَّل رأسه يختال في مشيه، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل**[٤] **في الأرض إلى يوم القيامة**»[٥].

«وفي مرحلة ما قبل البلوغ يشتد اعتزاز الناشئ برأيه وبكل ما ملكت يداه، وقد يسوِّل ذلك له أن يتكبر على غيره مفتخراً بنفسه، ولا شك أن هذا مظهر خطر يوشك أن يقطع صلة الإنسان بربه وبالناس»[٦].

ولا شك أن علاج هذا الأمر يحتاج إلى فطنة وأناة، لأن المربي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث (٦٠٦٤)، ومسلم، كتاب البر، باب تحريم التحاسد والتباغض، حديث رقم (٢٥٥٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٤١٢.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، رقم الحديث (٢٨٦٥).

(٤) التجلجل: هو الصوت في حركة. انظر: المعجم الوسيط (ج ل ج ل) ١/ ١٢٨ فالمختال في حركة مستمرة نحو الأسفل مع ارتطام مستمرّ له صوت، وهذا أبلغ في التعذيب.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه خيلاء ١٠/ ٢٥٨.

(٦) كيف نربي أولادنا في ضوء الإسلام ص٢٧٥.

يكون في صراع مع جانب يمسّ كبرياء الناشئ واعتداده بنفسه.

وتستمر الآيات في تعميق معنى التواضع لدى الناشئ. قال الله تعالى على لسان لقمان: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان].

والقصد في المشي سمة من سمات عباد الله، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان]، فهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف، وفيها قصد الإسراع والبطء فلا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطار، وتتم بسكينة ووقار من غير كبر ولا تصعير خدّ ولا تخلع أو ترهل، وليس فيها ضرب بالأقدام وخفق بالنعال، فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم، وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية[١].

وفي الحديث أن أبا هريرة[٢]: «... ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث»[٣].

وقد يظن ظانٌّ أن هذا مناقض للقصد في المشي والمشي الهَون، ويتضح عدم التناقض إذا عرفنا أن المقصود بالقصد والهون عدم ضرب الأرض تجبّراً وبطراً، لا الإسراع في المشي؛ لأن الإسراع في المشي

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٦٦، في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠، والتحرير والتنوير ٩/ ٦٨.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) مسند أحمد، سند أبي هريرة برقم حديث (٨٢٤٩). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

أبعد عن الخيلاء وأقضى لحاجة الإنسان من الطريق، وأغض بالبصر وأبعد عن التسكُّع. «والحكمة في غض الصوت أنه أوقر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه»، فالفائدة تعود على المحدِّث والمستمِع معاً، وفيه أيضاً أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته»[(١)].

ففي هذه الموعظة «أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم» أو إخفاء لأمر سيئ بالحدة والغلظة والصياح، والأسلوب القرآني قبّح الصياح في صورة منفرة محتقرة بشعة حين عقب بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فلو كان الصوت يعطي هيبة لصاحبه لكان الحمار أولى بذلك، فهذا التشبيه تنفير من هذا العمل لأنه يتنافى والمروءة الاجتماعية والآداب الإنسانية.

ونلحظ هنا الأسلوب القرآني في التربية، فعن طريق هذا التمثيل يصير آخر ما يفكر فيه السامع هو رفع الصوت.

وكثير من الآباء يجهدون أنفسهم في أخذ أولادهم بأدب الحديث وذلك أمر يدعو إليه الإسلام، ولكنهم في الوقت ذاته لا يعلمون أولادهم أن ذلك اقتداء برسول الله ﷺ، وأن ذلك من تعاليم الدين الإسلامي، ولهذا لا بد على الآباء والمربين ربط هذه الآداب بالدين لأنها تحوّل هذا التصرف إلى عبادة يثاب عليها الناشئ ويجعل الناشئ يزداد إكباراً لدينه القويم.

❐ ثانياً: أساليب قرآنية عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان:

إن المتأمل في سورة لقمان يجد العديد من الأساليب التعليمية المفيدة في تربية الناشئة. وهي بمثابة الإشارات الضرورية التي لا بد

---

(١) روح المعاني ٢١/١٣٨، الجامع لأحكام القرآن ١٤/٦٧، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠.

للمربي من الوقوف عندها حتى يستفيد منها في بناء جيل ونشء صالح، **ومن هذه الأساليب ما يلي:**

١ ـ التربية بالقدوة الصالحة:

تعتبر القدوة في التربية من الأساليب الناجحة في إعداد الناشئ خلقياً وتكوينه نفسياً واجتماعياً؛ فهي ترجمة حية للمبادئ والأفكار والأخلاق التي تربى عليها الناشئ ويطالب بها فيما بعد، فتكون هذه المفاهيم والتعاليم موجودة أمامه وليست مجرد خيال»[(١)]، وتركز التربية بالقدوة الصالحة على محورين[(٢)]:

المحور الأول: كيفية الاقتداء:

والمتأمل في مواعظ لقمان يجد أن الله تعالى أشار إلى هذه الكيفية في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، فالاقتداء يكون باتباع سبيل المنيبين إلى الله تعالى في أعمالهم الصالحة فهو اتباع لا تبعية، اتباع لقدوة صالحة رجعت إلى الله وأنابت إليه وتحررت من كل تبعية وخضوع، وفيه توجيه للابن إلى الاقتداء بالصالحين واتباع سبيلهم في الخير والحق، اتباعاً مبنياً على العقل والفهم باختيار صاحب الخير الذي يحضه ويدفعه إلى كل ما هو طيب وصالح، بعيداً عن كل تبعية تلغي عقله وشخصيته وتبعده عن دينه القويم.

المحور الثاني: الأب المربي باعتباره قدوة:

إن المربي هو القدوة والمثل الأعلى في نظر ابنه يقلده سلوكياً ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، فالابن مهما كان استعداده

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان، ٢/٤٧٦، وتربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص٢١٠.

(٢) انظر: تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها، د. عبد الله سلقيني ص١٣١.

للخير عظيماً ومهما كانت فطرته نقية سليمة فإنه لن يستجيب لمبادئ الخير ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق وقمة المثل العليا[١].

وقد عرض القرآن الكريم نموذجاً لهذا الأسلوب تمثَّل في لقمان الذي آتاه الله الحكمة التي مضمونها ومقتضاها الشكر لله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان]، ففي الآية الكريمة: «توجيه قرآني ضمني إلى شكر الله اقتداء بذلك الرجل الحكيم المختار الذي يعرض قصته وقوله»[٢]، فهو قدوة في القيام بحقوق الله وترغب الابن القيام بذلك وهذا أدعى للتطبيق وقبول الأمر، ولكن الرغبة إن لم تكن مقرونة بعمل سوي واستقامة واضحة وإنابة إلى الله فلن تتحقق ولن تقر العين برؤيتها، وقد صدق الشاعر الذي قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلَّا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما تقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم[٣]

وقد قال أحد أنبياء الله المكرمين وهو يربي قومه وأمته: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، وبالتالي لن يكون لنصح المربي وكلامه أثراً، وربما كان من الذين يقولون ما لا يفعلون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف].

والمدرسة من مصادر القدوة الحسنة للناشئ بمن فيها «من أساتذة

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام ٢/ ٤٧٦.
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٧.
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الإبشيهي ١/ ٤٨.

ومشرفين، فإلى جانب وظيفة هؤلاء الأساسية وهي تعليم الأبناء يجب أن تقوِّم المدرسة النفوس وتهذب السلوك وتهيء الفرد المسلم ليكون عضواً صالحاً في أمته، والمعلم في المدرسة هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة في نظر الناشئ يحاكيه سلوكياً ويقتدي به خُلقياً، ومن السهل على المعلم أن يلقن المتعلمين مقرراً دراسياً، ولكن من الصعب أن يستجيب هؤلاء المتعلمون هذا المقرر من مبادئ وقيم حين يرون من يشرف على تربيتهم ويقوم على توجيههم غير ملتزم بها»[١].

فالمعلم لا بد أن تكون حياته حياة الداعية إلى الله، فسلوكه تجسيد حي لدعوته، فيكون هادياً لا مضلاً، يأمر بالخير ويترك الشر ويدعو الآخرين إلى مثل ذلك[٢] تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، وقوله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من ذلك من آثامهم شيئاً»**[٣].

٢ ـ التربية بالوعظ:

الوعظ هو «زجر مقترن بتخويف ومذكر بالعواقب، وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. والموعظة ما يوعظ به من قول أو فعل[٤]، فالوعظ من الوسائل التي تصل إلى النفس الإنسانية بسرعة؛ لأن النفس الإنسانية تتأثر بما يلقى إليها من كلام وخاصة إذا كان الكلام يتميز بالحسن واللين والرفق والسهولة إذا كان صادراً من محبّ تركن إليه نفس

(١) القدوة ودورها في تربية النشء ص٢٤ بتصرف.
(٢) انظر: القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية ص٦٣.
(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب «**من سن سُنَّة حسنة أو سيئة...**»، رقم الحديث (٢٦٧٤).
(٤) المفردات في غريب القرآن ص٥٤٢.

المخاطب وتثق به»[١].

فالموعظة الحسنة تدخل إلى القلوب برفق وتأخذ طريقها بالتأثير في المشاعر والأحاسيس فيشعر صاحبها بلذة الأمن والراحة والاستقرار بالرجوع إلى الله تعالى والالتجاء إليه.

وتتضح هذه الوسيلة وتتجسد معالمها أمام المربي في حوار لقمان مع ابنه وهو يعظه.

فعلى الآباء والمربين الذين يريدون الحصول على أفضل النتائج في تربية أولادهم أن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته كما ورد في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

ولكي يتحقق الوعظ ويؤتي ثماره يتعين أن يراعي المربي عدة أمور:

١ ـ أن يكون الوعظ متكرراً، والتكرار يثبِّت المعلومة في الذهن.

٢ ـ أن يكون الوعظ بأسلوب سهل يناسب سن المتلقي وثقافته وعقله.

٣ ـ أن يكون صاحب الوعظ حكيماً، وعنده الخبرة الكافية في التربية كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

٤ ـ أن يكون الواعظ أفعاله مصدقة لأقواله ولا تتعارض، فالقدوة الحسنة نجاح للموعظة.

٥ ـ أن يتابع المربي أثر الموعظة على الأولاد ويعدِّل ما يراه لصالح الأبناء.

---

(١) كيف تربي ولداً صالحاً ص٣٢٢.

فالتربية كالزراعة لا يكفي فيها أن توضع البذرة في التراب بل لا بد فيها من الرعاية الدائمة والتعهد بالسقيا حتى تكبر وتنمو شيئاً فشيئاً، وتصدّ عنها الرياح الشديدة العاتية والحشرات المؤذية الضارّة.

٦ ـ أن يعزز السلوك الصحيح بالتشجيع ويعطي عليه الحوافز المعنوية والمادية[١].

وقد جاءت موعظة لقمان لابنه بأسلوب حسن النداء مع التحبب باستخدام أسلوب التصغير، واستخدام لفظ (بني) المشعر بالتحبب. وفيه كناية عن إمحاض النصح وحب الخير، وفيه حث على الامتثال للموعظة[٢].

وكان ﷺ يخاطب الناس بأحب الأسماء إليها، وكان يكني الأولاد وذلك لإشعارهم بندّية التعامل وبالرجولة والكنى لهم، ومن ذلك تكنيته مخاطبته ﷺ لبعض صغار الصحابة بكنية محببة لهم كقوله ﷺ لأحدهم: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»[٣]. والنصيحة المتوددة بعد إشعار الفرد بشخصيته المستقلة وبالأخص إن كان صغيراً هي من أعظم وسائل التربية تأثيراً في النفس البشرية[٤]، فعن أنس بن مالك[٥] رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله[٦].

٣ ـ التربية بالمثل:

لا شك أننا نعلم أن الله واسع عليم، ولكن لا طاقة لمخلوق أن يحيط بمدى علم الله ومدى قدرته على معرفة دقائق الأمور؛ ولذلك

---

(١) انظر: كيف تربي ولداً صالحاً ص٣٢٣، ٣٢٤.
(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ١٥٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث (٦١٢٩). والنُّغير: طير صغير واحده نُغْرَة.
(٤) انظر: تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها ص١٣٠.
(٥) سبقت الترجمة له.
(٦) سبق تخريجه.

يجيء القرآن الكريم في سورة لقمان ليعرض أمام العباد شريطاً مصوراً.

إن الإنسان إذا أراد أن يخفي شيئاً عن الأعين يجعله صغيراً ما أمكن ويودعه في مكان له باب في موضع يمكن إغلاقه في علبة محكمة الإغلاق... وكل ذلك لتصيير نسبة الكشف عن ذلك الشيء صغيرة جدّاً.

وقد مثّل الله لمدى اطلاعه على أحداث الكون وقدرته على الوصول بعلمه إلى أي شيء مهما صغر، فقال على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان].

فقد مثّل للذنب ومدى صغره بحبة الخردل، أما المكان الموصد المحكم الإغلاق فهو صخرة!! ومن يستطيع الوصول إلى شيء كحبة الخردل موضوعة في صخرة؟ إنه وحده الله ﷻ.

وهكذا استطاع القرآن الكريم عن طريق التمثيل تجسيد المعنى المجرد (خفاء الأعمال والذنوب) بهذا التمثيل الرائع الذي يجسّد الفكرة الذهنية ويقرِّب بها من الأفهام، فيزداد المعنى وضوحاً ويزداد عمقاً.

وعلى المربي أن يستفيد من تربيته بإغنائها بمثل هذه الأساليب التي تجعل من المعاني المجردة الذهنية أكثر وضوحاً للناشئ وأكثر أثراً وعمقاً في نفسه.

٤ ـ التربية عن طريق ترتيب الأوليات:

فالملاحظ في مواعظ لقمان لابنه أنه بدء بعلاقة الابن مع ربه، ثم علاقته بوالديه، ثم انتقل إلى تحديد دوره في المجتمع، فكان إعداده شاملاً لكافة جوانب الحياة من عقيدة وعبادة وأخلاق وسلوك، وارتقى به إلى درجة إعداد الداعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني عناصر تأهيل المربي وأساليبه وبيان خصائصه وصفاته في ضوء القرآن الكريم

❐ أولاً: عناصر تأهيل المربي في ضوء القرآن الكريم:

العنصر الأول: تأهيل المربي من الناحية العقدية:

إن تأهيل المربي وإعداده يشمل عدداً من العناصر الهامة في المربي ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند إعداده وهي المتمثلة بالنواحي العقدية والعقلية والجسمية لدى المربي.

والقرآن الكريم عرض لنا كيف كان منهج بناء الجانب العقدي لدى أنبياء الله ورسله.

ويستند هذا البناء العقدي عند جميع من عني القرآن بتربيتهم من المربين وعلى رأسهم الرسل والأنبياء إلى الاعتقاد بأن الله مستحق للعبادة، وأنه المالك المتصرف في هذا الكون وخالقه، والأمر الثالث أنه حاضر حي يسمع ويرى ويجزي ويحاسب الإنسان على فعله.

ولا شك أن ركيزة الركائز هي الإيمان بوجود الله الواحد، **فكيف غرس القرآن هذه الركيزة العقدية لدى أنبياء الله ورسله؟**

سنتناول للإجابة عن هذا التساؤل ما جرى لبعض رسل الله وأنبيائه عليهم السلام، فإبراهيم عليه السلام شاء الله له أن يبحث عن ربه في رحلة الشك والإيمان، قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا

رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام].

وهكذا تدرج إبراهيم عليه السلام في بحثه عن ربه حتى وصل إلى قناعة أن ربه لا يعتريه نقص، فتوجَّه إليه توجهاً مستقيماً «مائلاً عن الشرك إلى التوحيد»[(١)].

إن مهمة الإعداد العقدي التي تولاها ﷻ لرسله وأنبيائه كان لا بدّ منها ليكونوا بعد ذلك حملة دعوة ورسالة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام].

أما أول ما على المربي أن يبلغه فهو جانب التوحيد ونبذ الشرك: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج]؛ لأنه الدرس الأول الذي تعلمه الرسول أو النبي المربي من ربِّ العالمين.

وهذا نبي الله محمد ﷺ خاتم النبيين يذكر امتنان الله تعالى عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم والدين القيم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام]؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام.. قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة فوفقني له[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٣، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص١٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٤٤ ـ ٤٦.

وهو يعد نبيه ويؤهله أيضاً لعقيدة راسخة بعرض أدلة تدل على توحيده منها أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسرَّاء: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام]، فإذا كان وحده النافع الضار فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية، لأنه لن يصيب الإنسان إلا ما قدر الله وكتبه في لوحه المحفوظ، ولهذا ينبغي الاعتماد عليه في جلب المنافع ورفع المضار والثقة به في تحصيل المطلوب[1]: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ومن يقرأ سورة الشعراء من أولها يلحظ أنها بدأت بمواساة النبي ﷺ والتخفيف عنه لما أصابه من أسًى على المشركين لعدم إيمانهم: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء].

ويلحظ الناظر كذلك أن الآيات السابقة ختمت بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾، ومما يلفت النظر أن عبارة (العزيز الرحيم) وردت في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة منها تسع مرات وردت في سورة الشعراء وحدها، والعزة التي تعني الأنفة والقوة والكبرياء فسَّرها السيوطي[2]

(١) انظر: تفسير السعدي ص٣٣٩.

(٢) هو: جلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري =